

مقدمة

تعد منهجية البحث الركيزة الأساسية التي تضمن دقة النتائج، وقوتها، ومدى إمكانية الوثوق بها. ويتسم هذا الفصل بالديناميكية؛ فأخلاقيات البحث في تغير مستمر، وما كان مقبولاً في الماضي قد لا يكون مقبولاً الآن. وبناءً على ذلك، يتحمل الباحث المسؤولية الكاملة عن القرارات الميدانية السريعة لضمان الموازنة المنهجية الدقيقة بين جودة البحث وحماية المشاركين.

التعريفات الإجرائية لمتغيرات البحث

يركز هذا الجزء من الفصل على ضبط أدوات القياس لضمان دقة البيانات واتساقها. ويتم التحقق من الصلاحية والموثوقية من خلال مسارين:

اختبارات الصدق (Validity) :

يتم تطبيق أدوات إحصائية متقدمة مثل "التحليل العاملي الاستكشافي (Exploratory Factor Analysis)" للتأكد من أن الأدوات تقيس بالفعل المتغيرات الإجرائية المستهدفة في النموذج النظري.

اختبارات الثبات (Reliability) :

يتم استخدام "اختبار كرونباخ ألفا (Cronbach Alpha)" لتقييم مدى استقرار واتساق النتائج عند قياس المتغيرات عبر الوقت.

تصميم البحث (بصلة البحث)

يتحدد اتجاه البحث والمسار الاستراتيجي لمعالجة المشكلة بناءً على الفلسفة والنهج المتبع والإجابة المطلوبة لأسئلة الدراسة. وينقسم التصميم المنهجي إلى مسارين رئيسيين:

البحث الكمي (Quantitative Research) :

يميل عادةً إلى استخدام تقنيات أخذ العينات الإحصائية (Probability Sampling) لتوفير أساس إحصائي متين يتيح تعميم النتائج وتفسير العلاقات السببية.

البحث النوعي (Qualitative Research) :

يركز على تقديم "صور غنية ومتعمقة (In-depth rich pictures)" وليس مجرد تفاصيل قصيرة، ويميل لاستخدام المعاينة الهادفة (Purposive Sampling)، حيث لا يكون التعميم هنا هدفاً أساسياً.

التمثيلية (Representativeness) :

ورغم اختلاف الجذور الأيديولوجية والفلسفية بين الباحثين الوضعيين والتفسيريين، إلا أن هناك اهتماماً مشتركاً بضمان تمثيل المشاركين لمجتمع الدراسة بشكل صحيح.

مجتمع البحث وطرق وتقنيات أخذ العينات

يمثل هذا القسم العصب الإجرائي للعملية المنهجية، ويمر عبر خمس خطوات أساسية ومترابطة تشمل: تحديد المجتمع، ثم تحديد إطار المعاينة، وتحديد تقنية السحب، ثم حساب الحجم، وصولاً إلى مرحلة التنفيذ الفعلي.

مجتمع البحث (Population) :

هو المجموعة الكاملة من الأفراد أو الحالات (كائنات، مجموعات) التي يهتم بها الباحث ويستدل عليها.

العينة (Sample) :

مجموعة فرعية صغيرة نسبياً يتم اختيارها من المجتمع الأصلي لإجراء البحث التجريبي.

حجم العينة (Sample Size) :

يتأثر حجم العينة بحجم المجتمع الإجمالي (ويمكن الاستعانة بجداول قياسية مثل جدول Krejcie & Morgan لعام ١٩٧٠ لتحديده)، وقاعدته الذهبية الثابتة: كلما زاد الحجم قل خطأ المعاينة وزادت دقة المخرجات.

وتنقسم طرق وأساليب أخذ العينات علمياً إلى عائلتين رئيسيتين:

تقنيات المعاينة الإحصائية:

تعتمد على العشوائية والتعميم الإحصائي. ومنها: العشوائية البسيطة (Simple Random) حيث لكل عنصر فرصة اختيار متساوية ومستقلة كنظام القرعة أو الأرقام العشوائية؛ والعشوائية المنتظمة (Systematic) التي تعتمد على اختيار نقطة بداية عشوائية ثم السير وفق فترات منتظمة تحسب بالمعادلة $K = N/n$ ؛ بالإضافة إلى الطبقية (Stratified) التي تقسم المجتمع لمجموعات (طبقات) ثم تسحب عينة عشوائية من كل طبقة بشكل متناسب أو غير متناسب؛ والعنقودية (Cluster) التي تعتمد على تقسيم المجتمع إلى تجمعات.

تقنيات المعاينة غير الإحصائية:

تعتمد على الملاءمة أو الحكم الشخصي وتحتل التحيز. ومنها: الميسرة/الملاءمة (Convenience) عبر اختيار الوحدات المتاحة وسهلة الوصول للباحث؛ والحصصية (Quota) القائمة على تقسيم المجتمع لطبقات واختيار عينات غير عشوائية لضمان تمثيل نسب محددة لصفات كالجنس أو العمر؛ والقصدية/الحكمية (Purposive/Judgmental) باختيار عناصر محددة يرى الباحث بحكم خبرته أنهم الأكثر ملاءمة وفائدة للدراسة؛ وأسلوب كرة الثلج (Snowball) الذي يبدأ بحالات قليلة ثم الاعتماد على إحالاتهم للوصول لحالات أخرى وفق نهج استقرائي لتنمية العينة.

طريقة جمع البيانات

مراحل الوصول الميداني:

يتطلب جمع البيانات تخطيطاً مبكراً ورصيناً يمر بمرحلتين؛ أولاً الحصول على إذن رسمي مكتوب من مسؤولي ومستشاري الموقع (Gatekeepers) عبر خطاب رسمي يوضح طبيعة الدراسة، وثانياً كسب ثقة وتعاون الأفراد داخل الموقع لضمان موضوعية الاستجابة.

الموافقة المستنيرة (Informed Consent) :

التزام أخلاقي وقانوني يضمن فهم المشاركين لرفاهيتهم وطبيعة استخدام بياناتهم وتوقيعهم على نموذج موافقة صريح . ويجب أن تستوفي هذه الموافقة ثلاثة شروط جوهرية: (الأهلية القانونية، كفاية المعلومات المقدمة، والطوعية الكاملة دون إجبار).

حماية القصر:

التزاماً بالمدونات الأخلاقية الصارمة، لا يجوز بأي حال من الأحوال استجواب أو ملاحظة الأطفال دون السن القانوني (أقل من ١٦ سنة) دون موافقة خطية ورسمية مسبقة من أولياء أمورهم.

أنواع البيانات

تُصنف البيانات المستخدمة في معالجة المشكلة البحثية بحسب طبيعة استخراجها ومصدرها إلى نوعين متكاملين:

بيانات أولية (Primary Data) :

البيانات الأصلية والجديدة التي يجمعها الباحث بنفسه من الميدان خصيصاً لحل مشكلة البحث الحالي، ومصادرها (الاستبيانات، المقابلات الشخصية، الملاحظة، والتسجيلات المباشرة).

بيانات ثانوية (Secondary Data) :

معلومات جمعها آخرون لغرض ما، ويعاد تحليلها لغرض البحث الحالي، وتنقسم إلى:

مصادر داخلية: السجلات المحاسبية، بيانات المبيعات، والتقارير التجارية الداخلية للمنظمة.

مصادر خارجية: المجالات الأكاديمية المحكمة، الرسائل العلمية، الكتب، والصحف المتخصصة.

إجراءات التحليل الإحصائي

لتحليل البيانات المستخلصة ومعالجتها بشكل فعال عبر برمجية الإحصاء للعلوم الاجتماعية SPSS (تحديداً الإصدار ٢٨)، يتم اتباع خطة متسلسلة تشمل:

اختبار توصيف العينة (Sample Profile Test) :

عبر استخدام التحليل الوصفي (التكرارات والنسب المئوية) لاستكشاف الخصائص الديموغرافية وتفضيلات أفراد العينة.

تحليل الصدق والثبات:

قياس الصدق البنائي عبر "التحليل العاملي الاستكشافي" والاتساق الداخلي عبر معامل "كرونباخ ألفا" لضمان سلامة البيانات قبل البدء بالتحليل التنبئي.

الإحصاء الوصفي للمتغيرات (Descriptive Statistics) :

حساب المتوسط الحسابي، الوسيط، المنوال، الانحراف المعياري، والتباين لفهم توزيع البيانات وأنماط الاستجابة.

اختبار الفرضيات (Hypothesis Testing) :

تطبيق اختبارات الانحدار الخطي البسيط والمتعدد (Simple and Multiple Linear Regression) لفحص طبيعة العلاقات السببية والتنبؤية بين المتغيرات المستقلة والتابعة.

الخاتمة

تأسيسيّاً على ما تقدم، ترتبط جودة البحث العلمي وموثوقيته ارتباطاً وثيقاً بمتانة العينة والآلية المنهجية المتخذة لاختيارها. ويجب على الباحث الحذر التام من تقديم ادعاءات مبالغ فيها أو تعميمات موسعة بناءً على عينات غير احتمالية أو صغيرة الحجم؛ فالتعميم منها غير صالح إحصائياً والنتائج ترتبط فقط بالعينات المأخوذة في سياقها الميداني. وتظل الشفافية المطلقة حول حدود العينة، والالتزام بالسرية التامة وحفظ الهويات (Anonymity & Confidentiality)، هي الضامن الحقيقي للقيمة العلمية والأخلاقية للدراسة.